المـصـطـلـح العـربي وتداعيات عصر العولمة

أ/بلغيث سلطان

المركز الجامعي العربي التبسي تبسة

تمهيد:

يعد موضوع العولمة من الموضوعات التي سال حولها وبشأنها حبر كثير وتبارى الباحثون في إبراز آثارها و أبعادها على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية , ونحن لا ننوي الخوض في كل هذه المسائل بقدر ما نسعى لتسليط الضوء على بعض تداعيات العولمة والتحديات التي تفرضها على اللغة العربية من خلال هذا النفث المتواصل لترسانة هائلة من المصطلحات المتسللة عبر بوابات الإعلام والاتصال والمتعلقة بشتى جوانب الحياة الإنسانية , والمرفقة بموجات من التشكيك في عدم قدرة اللغة العربية على رفع التحدي واثبات حضورها وتمثيل الناطقين بها بصورة مشرفة في المشهد العالمي .

وفي غمرة هذا الجو المشحون بالدعاوى والاتهامات, ما مدى تحفز اللغة العربية لمواجهة الزحف المصطلحي الوافد ؟

وهل بإمكانها استنفار مزيد من الجهد لإخماد هذه المزاعم والرد بحزم على هؤلاء السحرة الجدد ؟

1- في معنى العولمة :

بالنظر لكثرة التعريفات التي قُدمت لمفهوم العولمة , أضحى من العسير الانفراد بمعنى واحد يغطي مختلف تجليات هذه الظاهرة الزاحفة التي اكتسحت

العالم في السنوات الأخيرة محاولة صياغته وفق رؤى معرفية و إيديولوجية تلبي الغايات التي أطلق لاجلها تيار العولمة القديم المتجدد .
ومع كل هذا فسنحاول تقديم تعريف يقترب من مضمون هذه المداخلة والذي يرى في العولمة "حالة حضارية بمفرداتها العلمية والتكنولوجية والسياسية والقانونية والثقافية والاقتصادية وهي تيار يجتاح العالم بسبب الديناميكية التي ولدتها ثورة الاتصال والمعلومات والنقل والمواد وكل الاختراعات العلمية والتكنولوجية المعاصرة " (1) .
والحقيقة أن هذا التعريف ينأى بنا عن الاستغراق في الجدل السياسي المحيط بظاهرة العولمة والذي كثيرا ما يحجب عن أبصارنا رؤية الشيئ في صورته الموضوعية , من خلال تضخيمه وتهويله , واعتبار العولمة بمثابة مؤامرة أراد بها الآخر وضع العالم العربي الإسلامي في دائرة الاستهداف , مما يجعل جزء كبير من طاقتنا الفكرية الحيوية يُهدر في التشهير بالمصطلح- وربما تقديم خدمة مجانية له- بدل البحث الجدي عن الآليات العلمية لمواجهة الموقف دون ضجيج .
2 - آليات التعامل مع العولــمة:
لقد سمعنا على مدار السنوات الفائتة لغط كبير رُشقت من خلاله العولمة خطابيا بكل أشكال النعوت , و أغدقت الحكومات والهيئات والمنظمات والجامعات أموال كثيرة لتنظيم الندوات والملتقيات والمؤتمرات التي تعالج شتى المخاطر والتحديات التي تنطوي عليها ظاهرة العولمة .
وبالنظر الى أ ن أغلب هذه التظاهرات المنظمة في العالم العربي ميزها الهوس بالشق السياسي من

العولمة , فقد كانت ردود الافعال اقرب الى الشعارات البراقة التي تتغنى بأمجاد الأسلاف وتدعو الى الوقوف في وجه العولمة دون وضع الأسس الناجعة لتفعيل هذه المواجهة. فالخلل الناجم عن الإشكال المفاهيمي في ظاهرة العولمة ينعكس بدوره على الجانب الآدائي في التعامل مع هذه الظاهرة والنتيجة تكون" اتباع أساليب ومناهج تعامل خاطئة تجعل الدول النامية تدور في الفراغ وتحارب طواحين الهواء . فهذه تدعوالى محاربة أمركة العالم , وتلك تدعو الى محاربة الرأسمالية الكونية و أخرى تنادي بالوقوف أمام التكتل الغربي...الخ (2)

وبناء عليه، فالتحليل السليم للظاهرة وأبعادها هو جزء لا يتجزأ من كيفية التعامل و التفاعل والتكيف معها , وإذا تحقق لنا ذلك أدركنا انه لا بد يل عن العمل و الإنجاز واثبات الذات عمليا بدل الانزواء خلف عبارات الإدانة للآخر لانه حاول اختراق ساحتنا فآلية إفحام الآخر لن تكون إلا " بالعمل المثابر الصموت على استبدال بنيتنا التحتية بطابعها الاستهلاكي الطفيلي الهامشي بأخرى ذات طبيعة إنتاجية تملك ما تملكه الماكنة الانتاجية في الغرب من تكنولوجيا متقدمة و أساليب علمية متطورة في إداراتها ... ومغادرة التعويل الانفعالي المتشنج المريض على أحكام القيمة دونما تحليل او أناة في النظر"(3) .

ولعلنا بهذا الأسلوب نتمكن من رؤية هذه الظاهرة بشكل متبصر ونتعامل معها بطريقة تمكننا من تجاوز تحدياتها , والحفاظ على انيتنا الثقافية والحضارية وذلك عن طريق تطوير ثقافة خاصة لدى الأفراد

والمؤسسات والدول حتى تتمكن من التعامل معها- العولمة- بنجاح , وهذه الثقافة الخاصة هي" ثقافة مفردات العولمة" وهي تختلف عن" ثقافة العولمة" وغير" عولمة الثقافة" التي تخشاها الكثير من الدول النامية او تتجاهلها او تتجنب العمل فيها " (4) .

إننا اليوم أحوج ما نكون الى مهارات نتمكن بمقتضاها من استغلال تلك الثقوب الموجودة في جدار العولمة والنفاذ من خلالها بذكاء لتامين موقع لائق لثقافتنا ولغتنا، بدل الاستمرار في نسج العبارات النظرية المنمقة التي تتغزل باللغة العربية وتتظاهر بالذود عن حيا ضها , في حين يستغل الآ خرنقاط ضعفنا ويستثمرها لصالحه بالتوغل في عمقنا الثقافي.

وهنا يتضح بجلاء أن اللغة العربية تقوى بقوة أهلها الذين يعملون على الارتقاء بها الى مكانة مرموقة من خلال جهودهم العلمية الرائدة التي تجعل هذه اللغة جديرة بتبوأ هذه المكانة فحينما تصبح اللغة العربية وعاءا ورداء لما هو مستحدث من العلوم والفنون عندئذ تكون قمينة بالموقع الريادي بين مختلف لغات العالمين لأن اللغة يهجرها أهلها حينما تكون عاجزة عن التناغم مع روح العصر "حين لا يجد الناس في اللغة ما يلي احتياجاتهم ويتجاوب مع متطالباتهم المعاصرة حين ذلك يضطر هؤلاء اضطرارا الى البحث عن بدائل " (5) .

فحبنا للغة العربية واستعدادنا للذب عنها يجب تجسيده عمليا بترقية هذه اللغة من داخلها بجعلها أداة أصلية تشع من خلالها العلوم , ووسيلة لإنتاج الجديد وايصاله الى الناس وفي ذلك عامل إثراء

وتجديد للغة على مستوى بنيانها الداخلي "ومن الواضح ان العناية بحاجات المجتمع اللغوية تحتاج الى حلول جذرية من داخل اللغة تستطيع ان تحقق لهذا المجتمع الاكتفاء الذاتي من لغته والاضطرالمجتمع البالاقتراض والاستعارةمن اللغات الاخرى"(6).وهذا لا يعني بحال معارضة أنشطة التعريب ,أو الإقتراض والاستعارة من اللغات الاخرى بوصفها من العوامل المساعدة لنمو اللغة, غير انه يجدر بنا قبل الإسراع لجلب هذه الحلول أن نختبر مدى قدرة لغتنا على تقديم البديل حتى لا تصبح هذه اللغة ذات يوم نسيج غير متماسك او كم لا وزن له يغلب فيه الدخيل على الأصيل .

3 - اللغة العربية بين التحدي والاستجابة:

اتضح لنا من ذي قبل ان تحدي اللغة العربية الأكبر ينبع من داخلها من خلال إحداث ثورة علمية تستوعب مختلف النوازل حيث تكون اللغة في عمق هذه الثورة و أداة لمدخلاتها و مخرجاتها وبذلك فهي" واسطتنا التي تحدد المسافة بيننا و بين واقعنا وأداة تعاملنا مع هذا الواقع, التي نحيل بها المحسوس الى المجرد ,و نجسد بها المجرد في هيأة المحسوس انها الجسر الواصل بين خصوصية الذات و عمومية الموضوع , فهي التي تترجم ما في ضمائرنا من معان لتستحيل الى أدوات تشكل الحياة ,و توجه أداء المجتمع و سلوك افراده و جماعاته و مؤسساته (7).

و ما يَؤسف له حقا ان اللغة العربية في كثير من البلاد العربية تكاد تعيش غربة قاتلة في عقل دارها و الا فما تفسير الاخطاء المتكررة التي ترد علىألسنة المعلمين و الاساتذة و لا يتوقف الامر عند الأخطاء

النحوية و الصرفية و التركيبية بل حتى الأخطاء الاملائية,و حينما يتعلق الامر بالتلاميذ و طلبة الجامعات فحدث و لا حرج . لقد كانت التقارير الصادرة في السنوات الثلاثين الماضية عن المجامع اللغوية في الوطن العربي مفعمة بالاسى و متضمنة الشكوى المرة و المستمرة من تدهور مستوى االتعامل مع اللغة العربية مما ادى الى ظاهرة الضعف اللغوي وُنشوء نوع من الصراع بين اللغة اليومية التي تساندها وسائل الإعلام و الفصحى التي تتراجع أمام سلطة هذه الأجهزة الإعلامية و لا يقل هذا الخطر عن خطر آخر هو خطر التغريب و التبعية الثقافية حيث نجد الكثيرين ممن يستهينون بلساننا العربي الى الدرجة التي يشككون في أدبه و فكره (8).

و لذلك فاجهزة الأعلام العربية مطالبة في الظرف الراهن بالارتقاء الى مستوى المسؤولية الحضارية و الاسهام في انضاج الوعي العربي و تحسيس الجميع بأهمية التعلق بلغتهم و الاعتزاز بها كمكون أساسي للشخصية العربية و لعل جهدا من هذا النوع من شانه" أن يعزز في النفوس مكانة اللغة الفصحى لكونها لغة المستقبل ,و أن ُيشعر الانسان العربي بأهمية الوعي بها و احترامها (9).

فتوسيع مساحات استعمال الفصحى, و تقديمها في ثوب قشيب مفعم بالتشويق و بعيد عن الرطانة من شانه ان يكون عامل جذب و إقبال على اللغة العربية واستعمالها كأداة للتخاطب والمعرفة وذلك ما يهيئ لها موطئ قدم بين أهلها وذويها كمرحلة مهمة نحو التتويج بوسام العالمية .

ولا غرو في ذلك فاللغة العربية لها من الخصائص والسمات ما يجعلها قادرة على الوقوف بشموخ في وجه أعتى التحديات و أشرس الهجمات فهي إحدى اللغات التي لها قدرة عالية على نقل الثقافة , متميزة بمرونة نادرة في التعامل مع مختلف اللغات الأخرى.

وما دام غرضنا في هذه المداخلة ليس التوسع في استعراض مزايا اللغة العربية , إنما تناول جانب من جوانبها ألا وهو المصطلح العربي في عصر العولمة باعتباره أحد أهم (ساحات النزال الفكري الرئيسة التي ستحدد مصير اللغة العربية في صراعها مع الوافد الدخيل من المصطلحات المتعلقة بالحياة اليومية للانسان بصورة خاصة .فاننا سندلف الى تناول واقع المصطلح العربي و أهم آفاقه.

4 – المصطلح العربي: الواقع والمآل

يصبح عالمنا المعاصر ويمسي على الجديد , فالمعامل والمختبرات تنتج يوميا عددا من الأبحاث حاملة معها أسماء و ألفاظ لمستحدثات الحضارة وثمار العلم من أجهزة وآلات ومخترعات , ونحس بهذا التيار المتسارع يسري في حياتنا العملية في المصنع والمتجر والمدرسة ونحن نشاهد التلفزيون او نبحر في مواقع الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) .

ومع إقرارنا بأن التأثر و التأثير المتبادل بين اللغات ُسنة اجتماعية إنسانية , والعربية ليست بدعا من اللغات الانسانية التي تحتك مع بعضها وتتفاعل أخذا وعطاءا " إلا أن العربية تمتاز عن غيرها بظاهرة الإقراض أكثر من الاقتراض لاسباب وعوامل تتعلق بجوها الخاص ونسيجها الذاتي ومنشئها الاصيل(10)

وهذا دليل على ان اللغة العربية ليست عقيمة ولا عاجزة عن توليد آلاف المصطلحات لمواجهة التدفق المعلوماتي الهائل الذي يطل علينا من كل جانب , ومن ثمة فالتقصير كل التقصير نابع من كون أهل العربية لم يستنفروا قواهم الفكرية لتوليد " ألفاظ لتقدم حضاري دام أربعة قرون كان أهل العربية يغطون خلالها في سُبات عميق" (11) .

وبناءا عليه فان إنعاش عملية البحث المتمركزة حول اللغة العربية من شانها ان تشكل بداية احياء واستفاقة مهمة باتجاه ترقية اللغة من داخلها عن طريق انتاج مصطلحات عربية جديدة تلبي حاجات الحياة العملية ويتطلب هذا المسار العناية بأمرين هامين:

"أولا: أهمية مواجهة تحدي المعلوماتية في سياقها الاشمل والأعم : تكنولوجيا المعلومات في امتلاكها و انتاجها وفي ادغامها بمناحي الحياة كلها بعد ذلك, ويتطلب ذلك المشاركة في ابتكار تكنولوجيا المعلومات وتصنيعها , لا الاكتفاء باستهلاكها فحسب , (ضمن هذا السياق الشامل والعام).

ثانيا: الاحاطة بالتسارع العلمي في تكنولوجيا المعلومات التي غدت " طريق المستقبل " بتعبير"بيل جيتس" وهي طريق شائكة مفتوحة الى ما لانهاية , وان كان الاهم فيها هو الصورة والارقام لغة بديلة عن اللغة . ان تعاضد المعلوماتية مع الاتصالات فيما نسميه (الملتيميديا) يعني الاستعمال المتعدد لوسائل الاتصال . ويعني تطورات تسند تكنولوجيا المعلومات التي افرزت .مجتمعات ملتبسة: الموجة الثالثة , المجتمع ما بعد الصناعي , مجتمع ما بعد الحداثة , مجتمع

المعلومات , الثقافة الرقمية ويرتهن هذا التسارع العلمي بالخيال التكنولوجي" (12) .
وهذا الجهد لايمكن أن يضطلع به فرد او هيئة بل هو وقف على الجميع من مجامع لغوية , وباحثين وجامعات ومراكز بحثية يشترك كل هؤلاء في تنمية المصطلح العربي و اثراء رصيد اللغة به , ومواجهة زحف المصطلح الدخيل من خلاله " بعبارة اخرى فان مدخلات العلم ومدخلات التكنولوجيا والاقتصاد والاعلام والتسويق ينبغي أن تكون جزءا من ادارة اللغة وتطويرها" (13).
5 – حجج واهية
حفل القرن العشرين بكثير من الاقاويل الزاعمة بان :
أ / العربية لغة بداوة: ولا قبل لها بحمل المصطلحات الحضارية ويرد جون ليونز على ذلك بقوله " عندما تتغير احتياجات مجتمع معين فان لغة هذا المجتمع ستتغير تبعا لذلك , كي تفي بالاغراض الجديدة فتتوسع المفردات اما باقتراض كلمات من لغات اخرى ,او بخلق كلمات جديدة من كلمات موجودة في اللغة نفسها , ولا يعني عدم وجود الكلمات التي تدل على افكار العلم الحديث ومنتجات التقنية المادية في لغات محلية كثيرة فيما يعرف احيانا بالعالم النامي أن تلك اللغات اكثر بدائية من اللغات التي تتوفر فيها تلك الكلمات ، فذلك لا يعني الا ان المشاركين في تطوير العلم والتقنية لم يستعملوا تلك اللغات بعد" (14) .
لقد كانت اللغة العربية في أوج عطائها ثرّة بالمصطلحات تستوعب كل العلوم والتقنيات

لايعتورها نقص ، تتجدد على الدوام لتنسجم مع كل التطورات .

ب / عدم دقة المصطلحات الأصلية :

ولعل من بين خصائص المصطلح ان لا يشرط فيه الدقة المتناهية و المطابقة الكاملة لما يعبرعنه اذ "لا يستلزم أن يكون المصطلح باية حال مستوعبا كل المعنى الموضوع له, و الا انتفت عنه طبيعة المصطلح ,و بات لفظة لغوية مثل أية لفظة سواها , فالمصطلح يتخذ للتعبير بلفظ واحد في الاعم عن معنى أو فكرة لا تستوعبها في العادة لفظة واحدة, و لهذا السبب أطلقت عليه هذه التسمية أي انه " يصطلح" به على تادية المعنى المقصود "(15) .

و بناءا على ما سلف ذكره فان مشكلة المصطلح العربي في عصر العولمة لا يمكن ايعازها الى عيوب في اللغة العربية بقدر ما ترجع الى غياب البحث العلمي الجاد الذي يتصدى بصرامة لمختلف المشكلات و يتولاها بالمعالجة " و بغياب مؤسسات البحث العلمي الجاد التي تسير وفق إستراتيجيات مرسومة للتقدم يبدو البحث العلمي مشتتا يسير بلا هدف مرسوم , و أكثر ما يقوم به اساتذة الجامعات من بحوث ينصرف لاغراض نفعية قصيرة المدى تتصل بترقياتهم الاكاديمية و لا يستفيد منها المجتمع في دفع عجلة التنميةأو في المشاركة العالمية الجادة على أساس ندَي " (16).

الخاتمة:

من خلال هذه القراءة المقتضبة لواقع المصطلح العربي و آفاقه في ظل المتغيرات العالمية الراهنة المتسمة بطغيان تيار العولمة يتضح لنا ان هذه

الظاهرة – العولمة – هي واقع حضاري ولا يمكن بأية حال التذرع به لتغطية الكسل الفكري الذي يعانيه العقل العربي , و عليه لا بد من الاسراع في تنشيط دواليب البحث العلمي المنطلق من داخل اللغة العربية حتى تستطيع استيعاب هذا الانفجار المعرفي و المعلوماتي الهائل الوافد علينا و يكون ذلك باتباع الخطوات التالية :

أ – استنهاض الوعي اللغوي لدى ابناء الوطن العربي و اعادة بناء ثقتهم بلغتهم كلغة عالمية قادرة على الإنجاز و الابداع .

ب – انشاء مؤسسات اكاديمية متخصصة توكل لها مهمة البحث المستمر في اعماق اللغة العربية و استخلاص المصطلحات منها .

جـ - الانفتاح المعقول و المدروس على العولمة بما يفيد من ايجابياتها و يساهم في اثراء مسيرة التفاعل الحضاري .

د- تفعيل دور وسائل الإعلام المختلفة في خدمة الثقافة العربية, ونشر اللغة العربية بأسلوب مشوق جذاب.

ه – الايمان العميق بلغتنا كاحدى مقومات ديننا الحنيف و الثقة بامكاناتها و قدرتها على صنع الحضارة و الانتصار في معترك الصراع الثقافي الراهن , لأن الهزيمة والنصر يتم بناؤهما في ذوات الافراد قبل تحققهما عمليا على أرض الواقع .

<u>المراجـع</u> :

1- ابراهيم بدران , افول الثقافة , المؤسسة العربية للدراسات و النشر , بيروت , ط 1 2002 ,ص 172

2-نفس المرجع ص , 178 .

3-محمد مبارك, مقاربات في العقل و الثقافة , دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد .ط1 2004 , ص 286 –287 .

4-ابراهيم بدران ,مرجع سابق ,ص 180 .

5-نفس المرجع , ص 286 .
6-احمد بن محمد الضبيب , اللغة العربية في عصر العولمة ,مكتبة العبيكان , الرياض .ط1 .2001,ص86–87
7-نبيل علي, الثقافة العربية في عصر المعلومات عالم المعرفة , ع 265 ,المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب الكويت , يناير 2001 , ص 227 .
8-سامح كريم , لغتنا العربية ... هل تعاني الغربة , العربي ع 541 وزارة الثقافة الكويت ديسمبر 2003 , ص 87 –88
9-احمد بن محمد الضبيب ,اللغة العربية و الاعلام : الواقع و المامول مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة , الدورة 67 ,24 مارس 2001
10- صبحي الصالح , دراسات في فقه اللغة , دار العلم للملايين , بيروت ط 10 .1988 , ص 348 –349
11 – وجيه احمد عبد الرحمان , اللغة ووضع المصطلح الجديد , اللسان العربي مجلد 19 ج 1 مكتب تنسيق التعريب , الرباط , 1982 , ص 67 –68 .
12- عبد الله ابو هيف , اللغة العربية و تحديا ت العولمة ' المجلة العربية للثقافة عدد 43 السنة 21 المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم, تونس , ديسمبر 2002 ص 397 –398 .
13 – ابراهيم بدران, مرجع سابق ,ص 287 .
14 – جون ليونز , مدخل الى اللغة و اللسانيات , ترجمة حمزة بن قبلان المزيني .مجلة كلية الاداب , مجلد 14 , ج 1 , جامعة الملك سعود ,الرياض , 1987 ,ص 196 .
15 – جميل الملائكة , في مستلزمات المصطلح العربي , مجلة المجمع العلمي العراقي , بغداد , 1974 ,97/27 16 – احمد بن محمد الضبيب ,مرجع سابق , ص 121 .